أبو علي مصطفى:

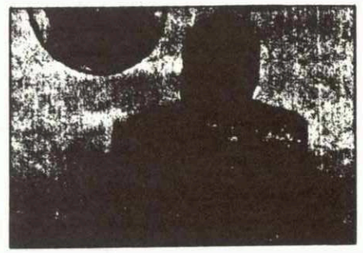

مهمتنا الأساسية

احباط الأضرار الناجمة عن هجرة اليهود السوفييت

حاوره احمد داود
٩/٧/٤

مع تزايد تدفق سيل المهاجرين السوفييت الى فلسطين المحتلة، والاسئلة والعلامات الكبرى التي بدات ترتسم في سماء المنطقة من جراء هذه الهجرة والاضرار الفادحة المترتبة عليها ليس على النضال الوطني الفلسطيني فحسب بل وعلى عموم المنطقة العربية. ناهيك عن انتعاش احلام شامير المستحيلة في اقامة «اسرائيل الكبرى» واقامة الوطن البديل شرقي نهر الاردن. وفوق هذا وذاك ماتراه من تهافت دول اوروبا الشرقية على عودة العلاقات مع اسرائيل والانفتاح عليها، والموجبات المطلوبة فلسطينياً وعربياً للرد على هذا الزحف اليهودي الجديد، الذي يمثل من حيث الخطورة والنتائج ماافضت اليه حرب عام ١٩٦٧ على حد قول اكثر من زعيم صهيوني.

عن هذه القضايا وغيرها، والمتعلقة بالآثار المباشرة والاستراتيجية لهجرة اليهود السوفييت الى فلسطين المحتلة تحدث الرفيق ابو علي مصطفى عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية نائب الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مقابلته هذه مع مجلة «الهدف».

■ تشير وقائع هجرة اليهود السوفييت الى تزايد أعدادهم بشكل كبير عام ١٩٨٩ ـ مقارنة بعام ٨٨، حيث بلغت هذه النسبة ٤١٣٪ الامر الذي دفع شامير الى تكرار الحديث عن «اسرائيل الكبرى» فماهي الآثار المترتبة على هجرة اليهود السوفييت وماهو حظ هذا الشعار من التطبيق؟

●● منذ عشرات السنين والحركة الصهيونية تعتمد في احدى ركائزها الاساسية على مسألة الهجرة، او بالاحرى اقتلاع اليهود من مواطنهم الاصلية وزجهم في دائرة المشروع الصهيوني. وهذا الامر رغم كل التغيرات التي طرأت الا انه بقي واحداً من الثوابت في سياسة الحركة الصهيونية وممارستها القائمة على أساس الادعاءات السلفية التوراتية، التي تلعب في جوهر الاستراتيجية السياسية الصهيونية، الامر الذي يجعل من حديث شامير، بخصوص الهجرة من الاتحاد السوفييتي وارتباطها بالمشروع الاسرائيلي بضم الاراضي المحتلة نهائياً، في مواجهة احتمال قيام دولة فلسطينية امراً ذا خطورة بالغة. قياساً بالفترة السابقة على أي حال هذا الموضوع ليس بجديد بالنسبة للسياسة الاسرائيلية، ولكن على مايبدو فإن شعار «اسرائيل الكبرى» وفي ضوء تزايد اعداد المهاجرين انعش اوهام شامير في امكانية تحقيق هذا الشعار وتحويله الى سياسة عملية في السنوات القادمة، بما يخدم الاغراض والاهداف التي يتحدث عنها الليكود والقوى الاكثر تطرفاً في الكيان الصهيوني.

لكن الامر اللافت للنظر ان بعض القوى التي تعتبر نفسها في صف القوى المؤيدة للسلام والقضية الفلسطينية رحبت هي الاخرى بهجرة اليهود السوفيات، وابدت استغرابها من رد فعل منظمة التحرير المستنكر والمندد بهذه الهجرة، وعلى مايبدو ان هذه الاحزاب والقوى ماتزال مرتبطة بوشائج وثيقة مع منطلقات الحركة الصهيونية اكثر مما هي مخلصة لايجاد حل سياسي سلمي للقضية الفلسطينية.

■ هل تقصد ان هناك اجماعاً اسرائيلياً على تاييد الهجرة؟

●● اذا استثنينا الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة «حداش» فبوسعي القول ان هناك اجماعاً على ذلك.. هكذا لمست من خلال البيانات الصادرة عن هذه القوى، ولا أخفي استغرابي من موقف المابام وراتس وجماعة الدفاع عن حقوق المواطن، التي تبدي استعدادها للحل السياسي وفي نفس الوقت تهلل للهجرة التي هي من صلب سياسة الليكود والاحزاب اليمينية المتطرفة.

القنبلة الديمغرافية ـ الوهم المزعوم

■ مادام الامر كذلك، اي اذا تحقق اجماع او شبه اجماع اسرائيلي على الهجرة مترافق مع تدفق حشد المستوهنين القادمين من الاتحاد السوفييتي وغيره، الا تعتقد ان هذه شروط ملائمة او لنقل مساعدة لتحقيق شعار «اسرائيل الكبرى»؟

●● بغض النظر عن حجم الحشد المحتمل لليهود القادمين الى فلسطين، فثمة تأثيرات هامة ومباشرة ليس بوسعنا ان نلغيها، وبالمقابل لم ولن يلغي التناقض المصيري بين الشعب الفلسطيني واسرائيل.

وبالتالي فمهما حاولت القيادة الصهيونية، فلن تجعل من الهجرة والمهاجرين رادعاً يحول دون التفكير والعمل على اقامة الدولة الفلسطينية فسواء اصبح عدد المستوطنين مليوناً او عشرة ملايين فالحقيقة الثابتة ان التناقض لم يؤسس يوماً على قاعدة عدد السكان، والزخم الذي تتمتع به القضية الفلسطينية المدعوم بالايمان الحازم بعدالة كفاح شعبنا اكبر بكثير من أن يقاس بعدد الشعب الفلسطيني.

لكن القيادة الصهيونية ومنذ عقود تحاول أن تثير فزاعة مايسمى بالقنبلة الديمغرافية لتحفيز المزيد من المهاجرين على الاستيطان في فلسطين المحتلة متسلحة بالزيادة الكبيرة في حجم فلسطينيي مناطق الـ ٤٨، حيث كان عددهم عام ١٩٤٨ (١٣٠) الف نسمة والآن تجاوز عددهم الـ ٨٠٠ الف، هذا العدد بالنسبة للاسرائيليين يمثل فزاعة، والجميع يعرف وثيقة كنج الشهيرة التي تنهض على أساس هذه الفزاعة، وتطرح الحل بترحيل الفلسطينيين من الجليل مقابل احلال مستوطنين بدلاً منهم، قصدت أن اقول إنهم يتحدثون عن القنبلة الديمغرافية لاظهار ان هناك خطراً فلسطينياً يتهددهم، وبالتالي زيادة المستوطنات والمستوطنين في مواجهة الخطر الفلسطيني المزعوم.

■ ماهو اثر هذه الهجرة على عملية السلام والانتفاضة وامكانية قيام الدولة الفلسطينية؟

●● لاشك أن للعدو خططه، التي يبنيها على قاعدة تغذية مشروعه، وفي نفس الوقت اجهاض المشروع الفلسطيني، هذا طبيعي ومنطقي، فكل من طرفي المعركة يحشد اسلحته في مواجهة الآخر. ومن ضمن الاسلحة الحادة التي يتسلح بها الطرف الصهيوني موضوع الهجرة وموجاتها الجديدة القادمة من الاتحاد السوفييتي، هذه الموجات التي تحمل قدراً كبيراً من القلق والمخاوف المشروعة بالنسبة للشعب الفلسطيني، واقول قلقاً ومخاوف مشروعة لأقول فزعاً لاننا مازلنا في وضع يمكن معه أن نحقق انتصارات لكن مصدر مخاوفنا وقلقنا المشروع نابع من الاحتمالات الاكيدة من زيادة وتيرة الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية ومصادرتها، والمزيد من الجلود وبالتالي المزيد من الطاقة القتالية ضد الشعب الفلسطيني، والمزيد من مصادرة المياه وزرع المستوطنات، كل ذلك سيدفع الامور خطراً الى المزيد من التأزم والتوتر الذي يجهض امكانية الحل السياسي ويدفع باحتمالات الحرب الى الامام، ناهيك عن أن بعض الرؤوس الحامية في القيادة الأسرائيلية ستدفع باتجاه تنفيذ سياسة التهجير ـ الترانسفير. ويغذي في نفس الوقت شعارات الصهاينة التي تتحدث عن الوطن البديل ـ ودولة للفلسطينيين خارج فلسطين في شرق نهر الأردن. ان كل ذلك يفعل في طياته احتمال نشوب حرب جديدة، وتعطيل لكل حديث عن السلام في الشرق الاوسط. وحينها يأتي السؤال الذي نطرحه على السوفييت، اذا كانوا هم اصحاب وحملة راية حل الازمات الاقليمية بالطرق السياسية، واذا كانوا هم القائلين بأن ازمة الشرق الاوسط وجوهرها القضية الفلسطينية لم يعد بالامكان حلها بالطرق العسكرية، ولابد من البحث عن سبل وطرائق سلمية للحل، اذا كانوا هم انفسهم يقولون ان الحل السياسي يجب أن يلبي الحقوق الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها حق تقرير المصير، فكيف يمكن أن ينسجم هذا القول مع هذا السيل من المهاجرين، الذي يتطلب حتماً المزيد من الاستيطان ومصادرة الاراضي وبالتالي المزيد من التوتر واحتمالات الحرب المفتوحة؟! كيف يمكن أن يستوي كل ذلك مع الدعوات السوفييتية لايجاد حل سياسي لأزمة المنطقة؟!

وبخصوص اثر الهجرة على الانتفاضة لاشك أنها ستجد نفسها في مجابهة مع هذا الزحف الصهيوني الاستيطاني لكن وفي مطلق الاحوال ليس بوسع أحد القول أن هذا الزحف سيجهض الانتفاضة، بل على العكس فبوسعي أن اتلمس ان هذا يجعل عملية التحدي والمجابهة اكبر، لكنها اكثر صعوبة، مما يدفعنا الى مخاطبة اصدقائنا ومساعدتهم كيف يمكن للبيروسترويكا ولغورباتشوف أن يقدم نفسه امام الرأي العام العالمي بأنه صاحب نظرية حل الازمات الاقليمية على أساس توازن المصالح وعلى الطرق السياسية، وفي نفس الوقت يدفع القضية الفلسطينية نحو المزيد من التوتر والصدامات، لأن هذه الهجرة تجعل من الصهاينة أكثر تشبثاً في مواقفهم المتعنته وليس اكثر قرباً من الاستعداد للحلول السياسية العادلة.

■ فيما يخص فلسطينيي الـ ٤٨ ماهي المخاطر المحتملة عليهم؟

●● اعتقد ان «الترانسفير» اصبح الآن اكثر خطراً من ذي قبل على اوساط الشعب الفلسطيني في تلك المناطق.

■ اذاً لماذا لاتطرح منظمة التحرير على سبيل المثال المطالبة بحكم ذاتي للفلسطينيين في مناطق الـ ٤٨؟!

●● اعتقد ان الاولوية لشعار الحصول على الدولة الفلسطينية المستقلة.

■ الصد بالتوازي مع شعار الحرية والاستقلال للضفة والقطاع وحكم ذاتي للفلسطينيين في مناطق الـ ٤٨.

●● اظن ان الامر مايزال مبكراً لم تنضج معطياته حتى الآن واعتقد أن تجسيد شعار الانتفاضة في الحرية والاستقلال وترجمة البرنامج الوطني الفلسطيني بحق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة هو الذي يجب أن يبقى موقع وموضع الاهتمام الرئيسي والاساس خاصة انه يحظى بتأييد عالمي.

وانت تريد الآن فتح جبهة من المهام الجديدة، يجب أن توفر لها اساساً وارضية، أولاً: ذاتية بالمعنى الوطني المحلي وثانياً دولية على الصعيد الخارجي. وان كان هذا الموضوع من الموضوعات التي تتدرج